الحفاظ على الهوية المعمارية الاسلامية بالمحيط الحضرى للحرمين الشريفين

محمد وهبة ابراهيم خليل، محمد عاطف إلهامى كامل
كلية الهندسة والعمارة الإسلامية - جامعة أم القرى

ملخص البحث:

انطلاقًا من حرص المملكة العربية السعودية على التنمية المستدامة نحو تحقيق الرؤية الطموحة للمملكة عام ٢٠٣٠ ومنها الرؤية المعمارية وخاصة المحيط الحضرى بالحرمين الشريفين، نجد أن العمارة فى مفهومها الشامل والذى يعكس العديد من الأفكار والاتجاهات الفكرية التأصيلية المختلفة هى محصلة لمجموعة من المدخلات والمعايير البيئية والاجتماعية والتى تعبر عن الفكر المعمارى خاصة إذا كنا نتحدث عن أهم المعالم الاسلامية ألا وهما المسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة فى المنظور الحالى والمستقبلى لما يحيط بهما من مبانى، ولكن كافة الرؤى الحالية لعمارة المحيط الحضري للحرمين الشريفين يشوبها عدم الدراسة التاريخية والتأصيلية للهوية الإسلامية لهذه المبانى، ومن هنا تظهر المشكلة البحثية فى عدم وضع معايير وظيفية للتعامل مع الهوية المعمارية للمبانى المحيطة بالحرمين الشريفين، فقد تم التعامل مع المحيط الحضرى للحرمين الشريفين من مفردات تراثية بهدف تشكيلى فقط وليس بهدف وظيفى. يهدف البحث الى وضع معايير للحفاظ على الهوية المعمارية لهذا المحيط الحضرى بمفهومه الوظيفى البيئى والاجتماعى الاسلامى، مما يحقق السمة المميزة والطابع الفريد للتراث مع ضمان استدامة هذا الفكر، وتحديد نسق للتصميم المعماري والذي يستخدم معطيات التراث الإسلامي بما يحقق تناغمًا وتكاملًا بين الماضي والحاضر والمستقبل، ووضع تصور لإعادة الصياغة المعاصرة لهذه المفردات بمفهومها المعاصر، وللوصول الى أهداف البحث فإنه سيتم إتباع المنهج الوصفى والوصفى المقارن في ضوء ما تحملة العمارة الإسلامية من قيمة معمارية وتراث أصيل لعمارة الحرمين الشريفين من خلال الدراسة الميدانية، وتفعيل مفردات العمارة الإسلامية في إطار معاصر لتفتح الطريق لإحياء هذه المفردات وتماشيها مع متطلبات العصر لتواكب تعدد استعمالات المبانى المحيطة بهما من مبانى سكنية وتجارية وفندقية وادارية، ويخلص البحث لمجموعة من النتائج والاستنتاجات المهمة مفادها الوصول إلى معايير الحفاظ على الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين، إلى جانب التوصيات الخاصة بالحفاظ على القيم التراثية وضمان إحيائها واستمراريتها واستدامتها.

مقدمة:

عندما نتحدث عن الهوية المعمارية فإننا بالتأكيد نتحدث عن هوية الشعوب أو هوية المواطن أو متلقي العمارة وهو صاحب صناعة تلك الهوية، ولقد شكلت الهوية عبر التاريخ أحد الاحتياجات الرئيسة للإنسان، فالهوية فى العمارة هى مجموعة من السمات التى نستطيع بها أن نميز مكان وزمان عن الآخر، فالهوية مفهوم متبلور فى العمارة من خلال الشكل وخصائصة (الجادرجى، ١٩٩٥)، غير إن جدل النقاد حولها ربط فكرة الهوية العمرانية بالعمارة التقليدية القديمة وحس المكان (Jencks,١٩٩٧)، ويستند هؤلاء النقاد في ذلك علي أن هذه العمائر التقليدية أظهرت نمطًا معماريًا متميزًا ارتبط بالزمان والمكان الذي ظهر فيه وعكس إمكانيات المجتمع، والهوية المعمارية يمكن رؤيتها كنتاج معماري لإبداعات فنية، وصياغة علاقة الإنسان بالمحيط والموارد المتاحة وذاكرته ببعده التاريخي والحضاري والبيئي (Correa, ١٩٩٠)، وخلال القرن العشرين حاول رواد العمارة الحديثة نبذ الماضي والتنصل منه وتبني نموذج الحداثة مما تسبب في تجريد أعمالهم المعمارية من كثير من أبعادها التاريخية والثقافية والاجتماعية العريقة وتحميل هذه الأعمال مفاهيم ودلالات رمزية

جديدة ومحدودة المعاني، ومحاولاتهم تحقيق رؤى "مبتكرة" تتماشي وروح العصر الجديد في تلك الفترة مما أوجد نموذجاً جديداً من المعمار تمثل في النظام العمراني العالمي فاقدًا لهوية المكان، وانطبق ذلك على الحالة الدراسية للبحث ألا وهي المحيط الحضرى للحرمين الشريفين والذى لم تسلم كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة من هجمة الحداثة فى العمارة ذات التوجهه العالمى من واجهات زجاجية لا تتلاءم مع مناخ أو هوية المكان.

مشكلة البحث: عدم وجود معايير أو إستراتيجية للتعامل مع الهوية المعمارية للمبانى المحيطة بالحرمين الشريفين، فقد تم التعامل مع المحيط الحضرى لهما من مفردات تراثية غير متكاملة بهدف تشكيلى فقط وغير مدروس.

أهداف البحث: وهذا البحث يمثل محاولة للإجابة عن سؤال مهم ومحوري وهو هل العمارة السعودية وخاصة ما يتعلق بهوية الحرمين الشريفين والحفاظ عليها، وذلك بغرض التأكيد على الهوية المحلية لها وعدم طمسها أو إذابتها، وللإجابة عن هذا السؤال فإنه تم صياغة وتحديد عدد من الأهداف المحددة لهذا البحث وهي:

- تعريف الهوية ومن ثم التعرف على ما العوامل التي أثرت علها، والعلاقة المتبادلة بين الهويةوالعمارة.
- التعرف على هوية العمارة المحلية بالمملكة وخاصة هوية المحيط الحضرى للحرمين الشريفين.
- التعرف على المحاولات المعاصرة لاحياء والحفاظ على الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين.
- وضع معايير وظيفية للسمات المحلية للحفاظ على الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين.

منهج البحث: اعتمدت منهجية البحث لتحقيق الأهداف السابقة على الآتي:

- المنهج الوصفى من خلال وصف العمارة المحلية وهويتها وطابعها المعمارى والعمرانى.
- المنهج التحليلى بتحليل العوامل التي أثرت على هوية العمارة ، وتحليل لأنماطها السائدة المملكة.
- المنهج التحليلى المقارن من خلال تحليل لهوية العمارة القديمة ومقارنتها مع المعاصرة.
- المنهج التطبيقى من خلال دراسة للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين اعتمدت الدراسة على الزيارة الميدانية.

فرضية البحث:

إذا ما تم وضع معايير وإستراتيجية لاستخدام مفردات هوية التراث العمرانى والمعمارى سيتم الحفاظ على استمرارية الهوية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين.

المحور الأول: الهوية المحلية كمحصلة لحركة المجتمع على مدى العمق الزماني:

إن كلمة الهوية identity بمفهومها الأيديولوجى يعبر عنها من خلال القومية أو الدين والعادات والتقاليد، ولها وظيفة تلقائية وهى حماية المفهوم الجماعى والذاتية المجتمعية، فقد خلقنا الله من ذكر وأنثى "الهوية الإنسانية"، وجعلناكم شعوبًا "الهوية الثقافية"، وقبائل "هوية اجتماعية"، لتعارفوا "الهوية الشخصية"

١/١ الهوية تعبيرًا عن الثقافة:

أ/ البعد المادى للثقافة: العلوم والمعرفة والفنون والأنشطة الإبداعية.

ب/ البعد الغير مادى للثقافة: مثل العادات والتقاليد والأعراف واللغة والفكر الدينى والعقائدى.

٢/١ التراث: وهو تسجيل صادق للمجتمع وثقافته ورصيد ومخزون للعادات والتقاليد ومردودها على المبانى ويجمع القيمة الروحية والجمالية بالإضافة الى كونها حقيقة مادية ملموسة وتسجيلًا صادقًا لثقافة المجتمع ووحدة منهجه وملامحه الإنسانية والفكرية عبر العصور، والمفردات ترتبط بالقيم ويصبح هناك معانى ضمنية غير مرئية ويعبر عنها شكل ما فى كل ثقافة للتعبير عن شخصية المجتمع وتميزه.

٣/١ أنواع الهويــة:

١/٣/١ الهوية الشخصية: وهى هوية الفرد داخل الجماعة.

٢/٣/١ الهوية الجماعية: وهى التى تخلق التنوع بين المجتمعات المختلفة، ولكل مجتمع وجماعة هويتها التى تعبر عن خصوصيتها وتميزها عن مجتمع أو جماعة أخرى.

٣/٣/١ الهوية الحسية الفردية: وهى تعبر عن الكيفية التى يرى بها الشخص ماحوله وإدراكه تبعًا لرؤيته الشخصية. (جوابرة،٢٠٠١).

٤/٣/١ الهوية الحسية الجماعية: وهى تعكس ماتعنيه الجماعة من موروثات لها معانى ضمنية عميقة.

٥/٣/١ الهوية المعمارية: وهى المستوى الشامل والمتكامل للربط بين كيان المجتمع وتشكيله لمبناه وما يميزه من مفردات معمارية تنبع من البيئة المحيطة، وانعكاس هويتها على العمارة والفنون والتراث، وتستمر هوية العمارة بإستمرار وتتطور الحضارة، وتنهض بنهوضها وتتفكك بتفككها، ويمكن التعبير عن الهوية بممارسة مجتمعية تفرز مجموعة من الرموز والدلالات التي تدخل الحيز الثقافي بما يرقى لأن يعبر عن ماضي المجتمع ويصبح ملازمًا ودالًا على هويته (الهنسي، ١٩٩٨)، فمصنع الهوية لأى مكان هو الممارسات اليومية التي تجري ضمن دوائر الثقافة والإبداع به، وهذه تقوم بدورها بإنتاج مجموعات من الدلالات والرموز والتي تتطور زمنيا من خلال المجتمع لتصبح دالة ومؤشرًا على هويتها، وفي هذه الحالة يمكن تعريف وتقديم مفهوم آخر، يقل أهمية وقدرًا عن مفهوم الهوية وهو النمط أو الطراز، فالأول يعنى بالجوهر، والثاني معني بالشكل أكثر من المضمون، ومما لاشك فيه فإن فقدان الهوية قد حدث بين ثقافتنا الحالية وبين تاريخنا الحضاري مما أورث جهلًا بالتراث ورفضًا له، وحققت فرصًا لتسرب الثقافات الوافدة التي غيرت شكل الثقافة وعبثت بجوهرها، وهكذا أصبحنا غرباء في مدننا التي تجردت عن هويتها الأصلية، وأصبحنا في بيئة هجينة غيرت من عاداتنا ومن أذواقنا وثقافتنا. (الهنسي، ١٩٩٨).

٦/٣/١ الهوية العمرانية: وهى الإطار الشامل للمدينة بمخططاتها وشوارعها وفراغتها والتى تعطيها الطابع المميز لها وهو انعكاس لمجتمع المدينة، وتنقسم الهوية العمرانية إلى (هوية غير موجهه) و (هوية موجهه).

أ- الهوية (التلقائية) الغير موجهه: وهى التى تنشأ فى المجتمعات التلقائية أو التقليدية وتتآلف أفكارهم نتيجة لعادات وتقاليد تجمعهم وينطبع على مبانيهم وشوارعهم وأحيائهم أفكار خاصة بهم دون تدخل أى جهه حكومية أو رسمية، مما ينتج عنها لغة تشكيل معمارى لها طابع مميز لشخصية المكان وثقافة الجماعة.

ب - الهوية (المدروسة) الموجهه: وهى التصميم المبتكر لتقليد الهوية السائدة بالمكان وقد تكمل الصورة البصرية للمدينة وتعبر عن سياق مؤسسي أو حكومى، وقد تنجح فى تحقيق الانطباعات التراثية وإيصال المعنى المطلوب، وقد تحقق الهدف البصرى ولكن قد لاتحقق الهدف الوظيفى. (Jencks,١٩٩٧)

ب/١- الهوية البصرية: وهى قدرة المكان بتعرف الأفراد بصريًا عليه وعلى عاداته وتقاليده وأفكاره.

ب/٢- هوية الأنشطة: وتعتمد على استعمالات المبانى والطرق والأنشطة بالمكان مثل الأسواق التجارية القديمة مثل خان الخليلى وأسواق فاس بالمغرب ودمشق. (جوابرة،٢٠٠١)

المحور الثانى : العوامل المؤثرة على تغير الهوية المحلية وعلاقتها بالعمران:

١/٢ العوامل الخارجية: مثل الخلط والاحتكاك والتداخل الثقافى واستخدام طرق ومواد البناء الحديثة والتكنولوجيا بشكل خاطئ، واختلاف استعمالات المبانى، وتدخل رأس المال الخارجى لتطوير المنطقة دون الوضع فى الاعتبار لثقافة المجتمع، وكذلك تدخل الحكومات لجعل المناطق ذات الهوية مناطق سياحية تراثية، مما أفقد السكان قدرتهم على الإحلال والتجديد، فقد كانت المدينة في شكلها التقليدى والتراثى باستمرار هي التعبير الثقافي للمجتمع وجاذبة له، واليوم أصبحت طارده لسكانها. (ابراهيم، ١٩٨٧)

٢/٢ العوامل الداخلية: وتظهر فى الرغبة الداخلية لدى ساكنى المناطق التقليدية الطابع وذات الهوية فى التطور والخروج من بوتقة التراث والانسلاخ من الماضى وملاحقة العصر، فالمناطق الحديثة ذات شوارع متسعة وأبنية عالية حديثة، كل ذلك يمثل "الجديد" بشكل أو بآخر .أما المناطق التقليدية فبالنسيج العمراني العضوي التقليدي بأنماط من شوارع ضيقة وأبنية صغيرة حيث يمثل "القديم"، ويضاف إلى هذا كله انتهاء العمر الافتراضى للمبانى القديمة وانهيار أغلبها مما يؤدى إلى الرغبة الملحة للتغيير.

٣/٢ العلاقات التبادلية بين الهوية والعمران:

يعتبر العمران سجلًا لثقافة وهوية المجتمعات، فالنتاج البنائي من عمارة وعمران يتأثر بالثقافة ويؤثر عليها، فالإنسان يتأثر بالبيئة العمرانية المتواجد فيها ماديًا ومعنويًا، وليس الطابع المعمارى والعمراني إلا انعكاس وتجسيد وتسجيل مرئي للحوار بين ثقافة الإنسان أو الجماعة والبيئة العمرانية، فالبيئة العمرانية وتصميمها يتأثران بالقيم الاجتماعية والثقافية للمجتمع والعكس صحيح. (Fadan,١٩٨٣)

١/٣/٢ تأثير العمران علي الهوية: قد يكون العمران وسيلة للحفاظ علي ملامح وتمايز المجتمعات، وقد يكون وسيلة لتغير هوية المجتمع، كما يحدث عند استيراد الطرز الغريبة في العمارة دون وعى كاف مما يكون له الأثر في تغير الملامح الثقافية للمجتمع. (Al-Naim, ١٩٩٨)

٢/٣/٢ تأثير الهوية علي تشكيل العمران: تعتبر الهوية بمستوياتها المادية وغير المادية من أهم عناصر تشكيل العمران، حيث يساهم مستوي العلوم والمعارف في تحديد تقنية وأسلوب البناء ومواد البناء المستخدمة، كما يساهم مستوي العادات والتقاليد في تحديد الأعراف وتحقيق التجانس العمراني، أما علي مستوي العقائد والدين فإنه يساهم في استخدام عناصر معمارية لها دلالات رمزية وزخارف معينة، ومن هنا أمكن تجميع أهم السمات والخواص والملامح المعمارية والتى شكلت هوية المبانى فى المدينة الإسلامية ويمكن حصرها فى تلك العناصر التى ظهرت بالفطرة والدراسة عبر مئات السنين. (ذنون، ٢٠١٠)

المحور الثالث: الاتجاهات الفكرية للحفاظ على الهوية فى القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين

يمكن استنتاج الاتجاهات الفكرية للحفاظ على هوية العمارة الاسلامية فى العصر الحديث ومحاولات التأصيل والمعاصرة من خلال تحليل أعمال كثير من المعماريين الذين حاولوا إحياء وتحسين والحفاظ على هويتهم العربية والاسلامية، وحتى يتم التوفيق في الوصول للنظرية المعمارية المحلية دون التبعية يجب أن يتم تحريرنا من التبعية الفكرية والتطبيقية الغربية ويعيدنا إلى القدرة الحقيقية التي تكمن في مجتمعاتنا وتراثنا لإيجاد فكر ينبع من تراثنا وعالميته من خلال الحفاظ على هويته كما يلى: شكل(١) (الباحثان،٢٠١٧)

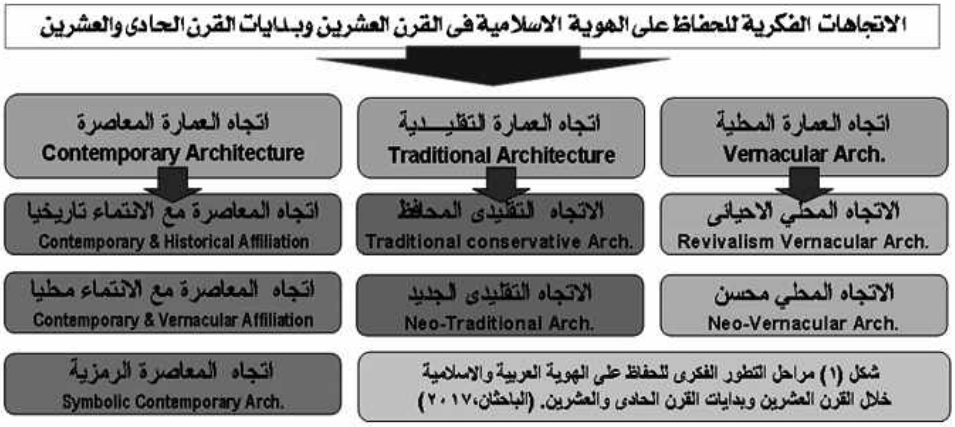

شكل (١) مراحل التطور الفكرى للحفاظ على الهوية العربية والاسلامية خلال القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين. (الباحثان،٢٠١٧)

١/٣ أولًا: اتجاه العمارة ذات الهوية المحلية:

أ) الاتجاه المحلى الأحيائى: ويتميز بشخصية محلية نابعة من من البناء بالمواد الطبيعية المتوفرة ومحاكاة المفردات والبناء بالمواد الطبيعية واستخدام طرق ومواد بناء تقليدية.

ب) الاتجاه المحلى المحسن: يتميز بمحاكاة المفردات ومواد البناء مع صياغتها بطريقة مبسطة مع الالتزام بطريقة الإنشاء التقليدية. (الباحثان،٢٠١٧)

٢/٣ ثانيًا إتجاة العمارة ذات الهوية التقليدية:

أ) الاتجاه التقليدى المحافظ: يتميز بالالتزام بمحاكاة المفردات المعمارية الموروثة عن الماضى مع صياغتها وتحسينها بطريقة مبسطة، مع عدم التقيد بمواد وطرق الإنشاء القديمة.

ب) الاتجاه التقليدى الجديد: يتميز بعدم استخدام مفردات منقولة حرفيًا عن الماضي وتصميم تركيبات تشكيلية مبتكرة، مع زيادة تبسيط المفردات، واستخدام مواد وطرق إنشاء حديثة.

٣/٣ ثالثًا: اتجاه العمارة ذات الهوية المعاصرة: يتميز هذا الاتجاه باستلهام روح العمارة الإسلامية والمحلية مع ربطها بأحدث مواد ووسائل التشييد، وينقسم الاتجاه نحو المعاصرة إلى: (الباحثان،٢٠١٧)

أ) اتجاه المعاصرة مع الانتماء تاريخيًا: يتميز هذا الاتجاه باستلهام بعض ملامح المفردات التاريخية الإسلامية بشكل تجريدى مع المحافظة على القيم المعمارية للعمارة الإسلامية.

ب) اتجاه المعاصرة مع الانتماء محليًا: يتميز باستلهام روح العمارة المحلية والتقليدية والبحث عن تعبير معمارى حديث يجيب متطلبات الحياة العصرية. (الباحثان،٢٠١٧)

ج) اتجاه المعاصرة الرمزية: يتميز بالبحث عن فلسفة تعبيرية رمزية تجيب متطلبات المبنى وتخرج عن مفهوم العمارة التقليدية وتتبنى مفردات محدثة ورمزية والتجرد من الزخارف وربطها بأحدث مواد ووسائل التشييد.

٤/٣ سمات وملامح تأثير الهوية المحلية على العمارة وطبيعة وظيفتها:

١/٤/٣ أمكن من خلالها تحديد أنواع السمات المحلية التى تحافظ على الهوية المعمارية شكل (٢)

شكل (٢) انواع السمات المحلية التى تحافظ على الهوية واستمراريتها.

٢/٤/٣ تحديد طبيعة الوظائف للسمات المحلية لضمان استمرارية الهوية. شكل (٣)

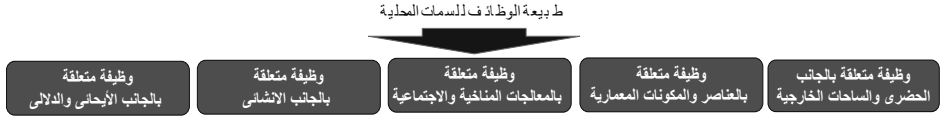

شكل (٣) طبيعة الوظائف للسمات المحلية والتى تجعلها بالاهمية لاستدامة الهوية.

المحور الرابع : الهوية المحلية في المملكة العربية السعودية :

١/٤ هوية المناطق المختلفة بالمملكة: حيث تتسم المناطق المختلفة بالمملكة بعدة عوامل ساهمت في وجودها حيث تميزت بسمات وملامح مميزة للعمارة المحلية في كل منطقة من مناطق المملكة:

- المنطقة الوسطى: يمتاز طراز التراث المعماري في المنطقة الوسطى باستخدام مواد البناء المحلية وأهمها الطين إذ يمكن أن توصف العمارة في هذه المنطقة بالعمارة الطينية، كما أن المباني متلاصقة وذات أفنية داخلية والممرات ضيقة والفتحات الخارجية قليلة مع تقارب المباني تماشيًا مع الظروف المناخية للمنطقة.

- المنطقة الشمالية: ويتشابه النمط العمراني في المنطقة الشمالية مع المنطقة الوسطى للمملكة وخصوصًا في المناطق المنبسطة الصحراوية الذي يعتمد على الطين، كما يمتاز النمط العمراني في المناطق الساحلية على مادة الحجر وتتشابه إلى حد ما مع نمط غرب المملكة.

- المنطقة الغربية : ويمتاز طراز التراث المعماري في المنطقة الغربية باستخدام الحجر في البناء وتتعدد أدوارها، كما يقوم النسيج العمراني أساسًا على وجود الفراغات العمرانية الممثلة بالأزقة والشوارع التي تتميز بوجود الساحات في نهايتها، كما تعد الرواشين والمشربيات من أهم العناصر الجمالية التي يتميز بها الطابع المعماري في المنطقة. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ١٤٣٤هـ)

- المنطقة الشرقية: ويتميز الطراز العمراني التراثي في المنطقة الشرقية باستخدام المواد المحلية كالطين والحجر والجبس في البناء وجذوع النخل للسقوف، كما يتميز النسيج العمراني بكثافة الكتل المعمارية وتقاربها واتصال بعضها ببعض وتتخللها الطرقات والأزقة المتعرجة

التي يتحدد اتساعها وضيقها، وقد ساهم اختلاف الأنشطة في ظهور الأسواق في الممرات الكبيرة وكذلك في الساحات المجاورة والمحيطة بالمساجد التى تعتبر مراكز التجمع. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ١٤٣٤هـ)

- المنطقة الجنوبية: ويتنوع التراث العمراني في المنطقة الجنوبية وفقًا للتضاريس والمناخ ونوعية مواد البناء حيث انتشار المباني الحجرية متعددة الأدوار على المرتفعات الجبلية وهي إما متناثرة وفقًا للمصاطب الزراعية أو متلاصقة كما في كثير من القرى التراثية، أما في شرق المنطقة فيبرز استخدام مادة الطين والرقف في البناء وتتعدد ارتفاعات. شكل(٤)

طابع المنطقة الوسطى

طابع المنطقة الغربية

طابع المنطقة الشرقية

طابع المنطقة الجنوبية

شكل (٤) تعدد وإختلاف الطابع العام للمناطق المختلفة للمملكة.

ومن هنا يجب الوضع فى الاعتبار طبيعة الوظائف للسمات المحلية لتضمن إستمارية الهوية وعدم حصر تجديدها فى التشكيل الظاهرى فقط.

٢/٤ طبيعة الوظائف للسمات المحلية وملامح التأثير المتبادل بين الهوية والعمارة فى السعودية:

١/٢/٤ وظيفة متعلقة بالعناصر والمكونات المعمارية:

- الخارجات: وهى أحواش صغيرة أو مساحات مفتوحة تنشأ عادة فى أعلى المبنى وتقوم بوظيفة الفناء خاصة فى المناطق الوعرة والجبال ، وجدرانها مرتفعة لتحقيق الخصوصية

٢/٢/٤ وظيفة متعلقة بالمعالجات المناخية والاجتماعية: شكل (٥)

- الوراشين أو المشربيات: وهى مشغولات خشبية تغطى النوافذ وقد تبرز فى الواجهات بهدف تحقيق الخصوصية والتحكم فى شدة الاستضاءة وفلترة الهواء، وتغير شكلها طبقا لطبيعة كل منطقة.

- الشوابير والدراوى: وهى تستخدم فى دروة السطح وتكون من الطوب المعشق والملون ووظيفتها تحقيق الخصوصية للجالسين بالخارجة وبالإضافة إلى زيادة سرعة الهواء وتقليل الإحساس بحرارة الجو.

- القمريات: وهى فتحات تكون أعلى الجدار أو أعلى الرواشين وتكون دائية أونصف دائرة، وتغطى بالزجاج الملون والمعشق وتستخدم بغرض جمالى ومناخى لدخول الهواء وتلطيف الجو الداخلى.

٥/٢/٤ وظيفة متعلقة بالجانب الانشائى:

- صراحة التعبير بالعناصر الإنشائية: وهى صراحة التعبير عن المواد الإنشائية ومواد البناء المستخدمة الطبيعية من الحجر والطوب وطرق رصها وتعشيقها والأعتاب والكوابيل الخشبية وطريقة إتقانها .

- تدرج وردود خط القطاع الرأسي والكوابيل: ويظهر التدرج نتيجة للتعبير بالطرق الإنشائية وبروز الرواشين والكوابيل ممايتنتج عنه ظلالاً على الواجهات الخارجية كمعالجة مناخية.

الرواشين الخارجات الشوابير القمريات التعبير الإنشائى التدرج والردود

شكل (٥) طبيعة الوظائف للسمات المحلية وملامح التأثير المتبادل بين الهوية والعمارة فى المملكة العربية السعودية.

المحور الخامس: الحالة الدراسية (هوية المحيط الحضرى للحرمين الشريفين):

١/٥ دراسة ميدانية للمحيط الحضرى للحرم المكى الشريف:

١/١/٥ الهوية المعمارية لمكة المكرمة: مكة المكرمة شرفها الله -سبحانه وتعالى- بأن تكون مكان ميلاد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وكانت بداية بزوغ فجر الإسلام الذي من الله به علينا و لا يخفى على أحد ما تحتويه مكة المكرمة من أماكن تاريخية كثيرة كل مكان من تلك الأماكن كان شاهدًا على موقف أو حدث في تاريخنا العظيم وهو أمر مرتبط بهويتنا كمسلمين، وهي غنية بتراث وطابع عمراني ومعماري أصيل مميز وهي مهبط الوحي لسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ ويعكس جوانب حضارية من تاريخها ويميزها عن سائر المدن الأخرى ، لما تحمله من سمات ومعانٍ إيحائية روحانية، وكان أهم ما يميز الملامح المعمارية البناء بالمواد المحلية مثل الحجر والأخشاب والطين، وبعض المعالجات المعمارية المناخية مثل إستخدام الرواشين والخارجات عوضًا عن الأحواش والأفنية فى المناطق المنبسطة. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ٢٠١٢) شكل (٦)

شكل (٦) الطابع العام لعمارة مكة المكرمة التقليدية.

ونظرًا للتدرج الجبلى الحاد وقلة تنوع مواد البناء فأنتجت عمارة محلية ذات طابع مميز.شكل(٧)

شكل (٧) التدرج الجبلى الحاد فى المحيط الحضرى للحرم المكى وأثره فى الطابع العام

٢/١/٥ الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرم المكى:

وبعد التعرف على الطابع العام لمكة المكرمة والذى أصبح سمة من سمات المنطقة واعطى للمحيط الحضرى للحرم المكى طابعًا محليًا، ظل المحيط الحضرى للحرم المكى محافظًا على هذا طابع المعمارى العام لفترات طويلة نظرًا للطبيعة الجبلية المحيطة. شكل (٨) ، (٩)

شكل (٨) مكة المكرمة ١٨٨٠م

شكل (٩) الطابع المحلى العام المحيط بالحيز الحضرى للحرم المكى مابين ١٩٠٠ الى ١٩٥٠م

٣/١/٥ الوضع الراهن للمحيط الحضرى للحرم المكى:

ومع بداية الطفرة الاقتصادية في بداية السبعينات الذي انعكس أثره على جميع المجالات، ومنها المجال العمراني الذي شهد نموًّا سريعًا غلبت عليه أنماط معمارية مستوردة، وفي خضم هذا التوسع الهائل والنمو العمراني المتزايد لمكة برزت أنماط معمارية بعيدة كل البعد عن معطيات البيئة الطبيعية، أو القيم والخلفية التاريخية والاجتماعية والدينية والاقتصادية للسكان، وقد أدى استبدال مواد البناء المحلية بالمتطورة المستوردة، واستخدام الأساليب العصرية في البناء إلى إيجاد بيئة معمارية وحضرية جديدة قد لا تتوافق مع الظروف المكانية ذات الخواص الروحانية، فظهرت الأبنية المستنسخة من الخارج، وحدث تحور في البيئة التكوينية الجبلية المحيطة بالحرم الشريف، من إزالة وتغيير في معالمها خاصة مع إزالة جبل خندمة وجبل عمر، وبذلك فقدت المدينة خصائصها الأصيلة. شكل (١٠)

شكل(١٠) استخدام الأساليب العصرية في البناء وظهور بيئة معمارية وحضرية لا تتوافق مع الظروف المكانية حول الحرم المكى

ومع التطور العمرانى حدثت تحولات كبيرة غيبت التراث الحضاري الأصيل بكل خصائصه الوظيفية والبيئية والجمالية، (ابراهيم،١٩٨٦) واستخدام الطوب والخرسانة والواجهات الزجاجية فى البناء. شكل(١١)

شكل (١١) ضياع الهوية المحلية والتاريخية للمبانى المحيطة بالمحيط الحضرى للحرم المكى

وفى العقود الأخيرة ظهرت عدة محاولات لتبنى الحفاظ على الهوية المعمارية بالمحيط الحضرى للحرم المكى ولكنها تعددت واختلفت وجهات النظر حول طرق الحفاظ على هذه الهوية من خلال إحياء إتجاه العمارة التقليدية الجديدة فى قصر الضيافة، واتجاه المعاصرة مع الانتماء تاريخيًا فى فندق هيلتون مكة شكل(١٢)، واتجاه المعاصرة مع الانتماء محليًا فى أبراج جبل عمر وفندق حياة ريجينسي شكل(١٣)، وخليط بين عمارة مابعد الحداثة العمارة التقليـدية المحافظة فى مبانى وقف الملك عبد العزيز أبراج البيت وبرج الساعة.

شكل (١٢) الهوية والمعاصرة مع الانتماء تاريخيًا

شكل (١٣) الهوية والمعاصرة مع الانتماء محليًا

٢/٥ دراسة ميدانية للمحيط الحضرى للحرم النبوى الشريف:

١/٢/٥ الهوية المعمارية للمدينة المنورة:

المدينة المنورة هي المدينة التى نصرت النّبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وكانت تُسمّى قبل الهجرة بـ"يثرب"، وهى مبنية في وسط وادٍ شاسعٍ يمتدّ إلى الجنوب، وأغلب مبانيها من الحجر، تميزت المدينة المنورة بنظام الأحواش الذي ساد في القرن العاشر، حيث ظهرت الحاجة إلى نظام عمرانى يوفر الحماية للسكان، ويتكون تركيب الحوش من مجموعة من المساكن تحيط بباحة مفتوحة يمكن التحكم فيها عن طريق بوابة. شكل(١٤)

شكل (١٤) الطابع العام والهوية المعمارية للمدينة المنورة.

٢/٢/٥ الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرم النبوى الشريف:

أحيط المسجد النبوى الشريف بالاحواش السكنية وتميز الطابع العام المحلى للمبانى السكنية المبنية بالحجر والخشب فى صورة نسيج عمرانى متضام يتخلله الأحواش. شكل(١٥)

شكل (١٥) الطابع المحلى العام المحيط بالحيز الحضرى للحرم النبوى الشريف مابين ١٩١٠ الى ١٩٦٥م

٣/٢/٥ الوضع الراهن للمحيط الحضرى للحرم النبوى الشريف:

استمر استخدام الأحواش إلي وقت قريب وعندما بدأت الحاجة لتوسعة الحرم النبوي الشريف في عام ١٤١١هـ أزيل جزء كبير من المنطقة، حيث تم التركيز على المنطقة المركزية المحيطة بالحرم النبوى، حيث استخدمت المشربيات والرواشين على الواجهات بتشكل هندسي مرتبط بوحدة متكررة فى توزيعها مع التجانس والتكامل فى المظهر واللون، وتم عمل تشريعات وقوانين كان بمقتضاها هيكلة وتنظيم كافة استعمالات الأراضى وإرتفاعات المبانى وطابعها المعمارى بما يتفق مع هوية المكان مما كان له الأثر الأكبر فى الحفاظ على هوية المحيط الحضرى للحرم قدر الإمكان. شكل (١٦)

شكل (١٦) الوضع الراهن للمحيط الحضرى للحرم النبوى الشريف

فأصبحت المبانى المحيطة بالحرم النبوى الشريف ذات هوية معاصرة تنتمى إلى الإحيائية والتاريخية وتميزها جميعًا بنفس الطابع العام مما أكسبها صفة ناجحة للرؤية المعمارية وقدم نموذجًا جدير بالدراسة، فظهرت مبانى ذات الطابع المعاصر المنتمى تاريخيًّا والمنتمى محليًّا فى تناسق تام. شكل (١٧)، (١٨)

شكل (١٧) المعاصرة مع الانتماء تاريخيًّا

شكل (١٨) الخلط بين المعاصرة والانتماء محليًّا والانتماء تاريخيًّا فى غالبية المبانى المحيطة بالحرم النبوى الشريف

٣/٥ تقييم لمحاولات الحفاظ على الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين:

١/٣/٥ تصنيف وحصر المبانى التى تشكل المحيط العمرانى للحرمين الشريفين من حيث نسبة الانتماء الى لهوية معينة. جدول(١)، شكل (١٩)، (٢٠)

المبانى المكونة للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين	المحيط الحضرى للحرم المكى		المحيط الحضرى للحرم النبوى	
عدد المبانى الاتجاة الهوية (التقليدى المحافظ)	٣	%١٣,٧	٢	%٦,٢٥
عدد المبانى ذات الهوية (التقليدى الجديد)	٣	%١٣,٧	٣	%٩,٣٧
عدد المبانى (المعاصرة والانتماء تاريخيًا)	١	%٤,٥	١٥	%٤٦,٨٨
عدد المبانى (المعاصرة والانتماء محليًا)	٤	%١٨,١	٩	%٢٨,١٣
عدد المبانى (اتجاه عالمى)	١١	%٥٠,٠	٣	%٩,٣٧
إجمالى المبانى التى تشكل المحيط العمرانى	٢٢	%١٠٠	٣٢	%١٠٠

جدول (١) مقارنة تصنيفية للانتماء الفكرى للمبانى بالمحيط الحضرى للحرمين الشريفين. (الباحثان،٢٠١٧)

شكل (١٩) تصنيف هوية المبانى بالمحيط الحضرى للحرمين الشريفين.(الباحثان،٢٠١٧)

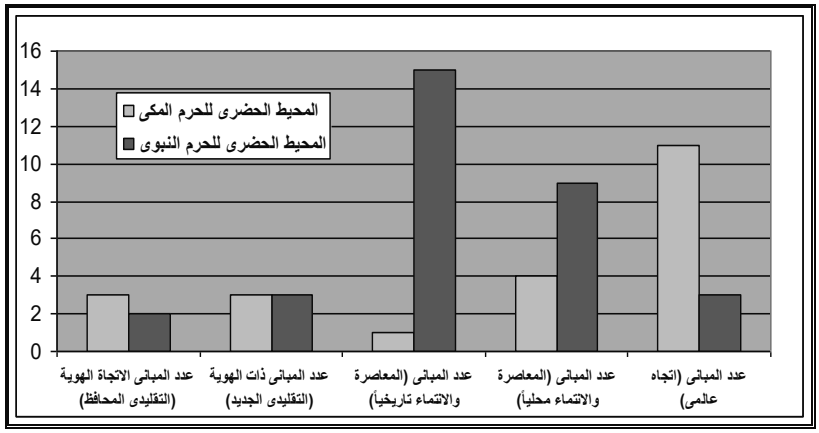

شكل (٢٠) مقارنة بين نسبة تصنيف الانتماء الفكرى للمبانى بالمحيط الحضرى للحرمين الشريفين (الباحثان،٢٠١٧)

٢/٣/٥ مقارنة بين طبيعة الوظائف للسمات المحلية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين: شكل (٢١)

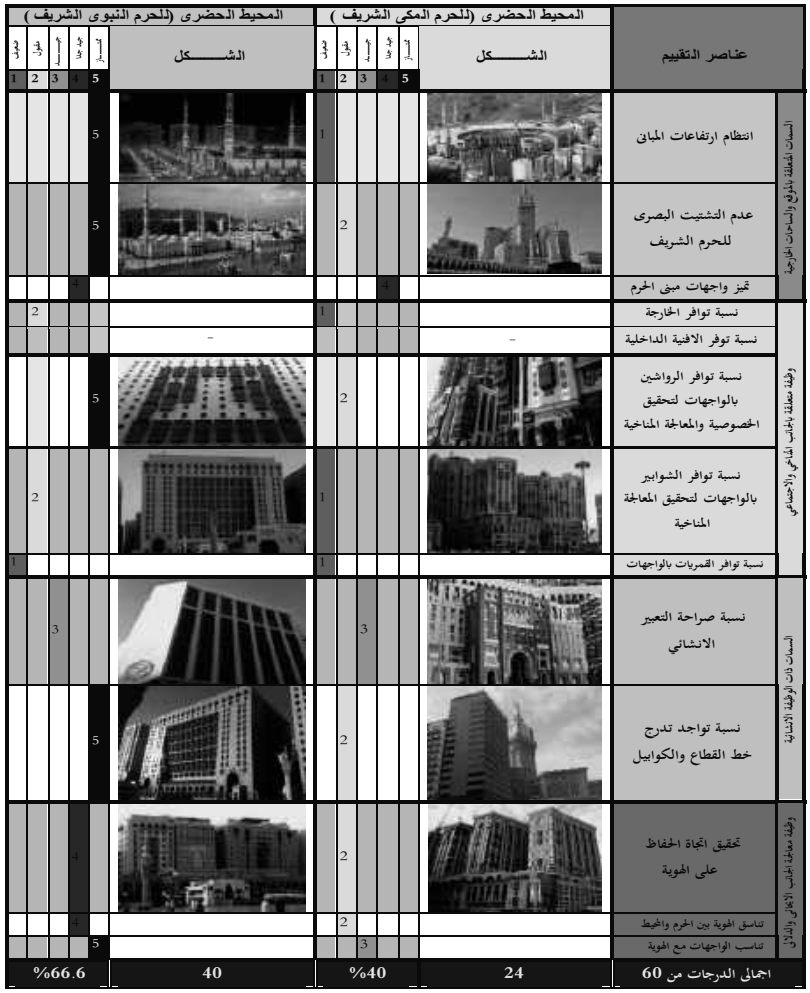

شكل (٢١) مقارنة هيكلية طبيعة الوظائف للسمات المحلية للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين. (الباحثان ، ٢٠١٧)

٣/٣/٥ مقارنة بصرية للتركيب الكتلى للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين، شكل (٢٢)

شكل (٢٢) التركيب الكتلى للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين

وبتطبيق معايير وظائف السمات المحلية وجد حصول المحيط الحضرى للمسجد النبوى على نسبة ٦٦,٦% فى تأصيل الهوية لمحيطها الحضرى وهى نسبة أعلى من المحيط الحضرى للحرم المكى الذى حصل على نسبة تقدر ب ٤٠% فقط، ومن هنا أمكن وضع اليد على نجاح المحيط الحضرى للمسجد النبوى ووظائف السمات المحلية للعمارة فى محيطه الحضرى كمعايير للحفاظ على الهوية المعمارية وضمان استدامتها.

المراجع العربية:

١. ابراهيم، عبد الباقى (دكتور) (١٩٨٦) - تأصيل القيم المعمارية – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة – جمهورية مصر العربية.

٢. ابراهيم، عبد الباقى (دكتور) (١٩٨٧) - المنظور التاريخى للعمارة فى المشرق العربى - القاهرة - مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية - جمهورية مصر العربية.

٣. الباحثان، محمد وهبة، محمد عاطف (أ.د) (٢٠١٧) محاضرات مقرر المقومات البيئة العمرانية للمدينة الاسلامية المعاصرة كلية الهندسة والعمارة الاسلامية جامعة أم القرى مكة المكرمة.

٤. الهنسي، عفيف - دكتور (١٩٩٨) - ما بعد الحداثة والتراث في العمارة العربية الإسلامية- عالم الفكر- الكويت.

٥. الهيئة العامة للسياحة والتراث، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م) - مراكز المدن التاريخية فى المملكة العربية السعودية - ملتقى التراث العمرانى الوطنى .www.scta.gov.sa

٦. جوابرة، د.م. معين قاسم (٢٠٠١) - الهوية المعمارية في الثقافة العمرانية - قسم الهندسة المعمارية - كلية الهندسة والتكنولوجيا جامعة بيرزيت - غزة – فلسطين.

٧. ذنون، أحمد عبد الواحد (دكتور) (٢٠١٠) قسم الهندسة المعمارية - جامعة الموصل - السمات المحلية في العمارة الإسلامية - المؤتمر المعمارى الثالث - التواصل الفكري بين النظرية و التطبيق- الجامعة التكنولوجية - بغداد - العراق.

٨. سامي عبدالله المغلوث (٢٠١٤) - أطلس الحج والعمرة (تاريخا وفقها)- الطبعة الثانية - العبيكان للنشر- المملكة العربية السعودية

٩. عفيفى، أحمد كامل (١٩٨٢) - المدينة العربية - دار الفكر العربى للعلوم الإنسانية - معهد الإنماء العربى العدد٢٩ السنة الرابعة - القاهرة .

المراجع الاجنبية:

١٠. AL-NAIM , Mashary Abdullah (1998) " Potentiality of the Traditional House" The G.C.C Folklore Center , Doha - Qatar.

١١. CORREA, Charles (1990), "Quest for Identity", University of Cambridge, UK. p. 23

١٢. DABAIEH, Marwa (2015), "More than vernacular- Vernacular Architecture between past tradition and future vosion" Editor Jamina Kallas , Published by bookshop , Stockholm, Sweden.

١٣. FADAN , Yousef (1983), "Traditional Houses Of Mekkah, The Influence Of Socio – Cultural Themes Upon Arab Muslim Dwelling". Islamic Architecture And Urbanism, King Faisal University, Dammam, Saudi Arabia. (1403 – 1983)

١٤. HAKIM, Beseim Selim (١٩٨٦)" Islamic Cities,Building and Planning Principles" KPL.London ,.

١٥. JENCKES, Charles (1997), "Theories and manifestos of Contemporary Architecture" Academy Edition, Great Britain. p.150.